الفصل الخامس عشر
مشكلات الحِوار الراهنة بين العرب والغرب

- مشكلة الحوار بين دول متقدمة وأخرى متخلفة.
- مشكلة الخطاب الإقصائيّ.
- مشكلة قلة الخبراء من ذوي الكفاءة العالية في قضايا الحوار.
- مشكلة عدم وجود قناة تفاعلية حوارية.
- مشكلة ترويج مقولة ((الخطر الإسلامي الأخضر)).
- مشكلة اللا تسامح الغربيّ تجاه العالم العربيّ الإسلامي.
- مشكلة الخطاب التأمري الانتصاري.
- مشكلة الخطاب المتبني للعنف.
- مشكلة التفريق بين الإرهاب والمقاومة.
- مشكلة تصحيح الصورة النمطية السلبية الخاطئة عن العرب والإسلام في الغرب.

- مشكلة فكر المسيحيين المتصهينين.
- مشكلة عدم التفريق بين أوروبا وأمريكا.
- مشـــكلة الغـــرب كمرجعيـــة للخطـــاب الاستقلابي.
- مشكلة الغرب وإشعال الحروب.
- مشـكلة المصـطلحات وصـياغتها ودلالاتهـا وتأثراتها في مسار الحوار.

.....

الفصل الخامس عشر

مشكلات الحِوار الراهنة بين العرب والغرب

تعترض مسيرة الحوار العربي – الغربي مشكلات وعقبات تعوق تقدمه وتشكل بعضها أجندات متنازع عليها، ونقدم أهمها ليطلع عليها المحاور العربي ويتخذها كركيزة معرفية في حواره مع نظيره الغربي بعيداً عن الجمود والجهل والتصلب.

- مشكلة الحوار بين دول متقدمة وأخرى متخلفة:

وهي من أهم المشكلات التي يتعين على الباحثين والدبلوماسيين إثارتها في إطار فعاليات وبرامج ومؤتمرات الحوار مع الغرب ذلك لأن

الطـرف الغـربي ينظـر ((للأسـف الشـديد)) إلى موضوع الحوار على أنه حوار بين دول متقدمة وأخرى متخلفة وأن سبب هـذا التخلـف عـدم التقدم هو الإسلام الذي يراه الطرف الغربي دين يدعو إلى الكراهية والعنف.

وهنا ينبغي على المحاور أو الدبلوماسي العربي أو المسـلم أن يبـين لنظـيره الغـربي الأدلـة الواضـحة والحجـج البليغـة علـى الـدين الإسـلامي الحنيـف ورسـالته السـامية الداعيـة إلى التسـامح والسـلام والإخـاء الإنسـاني وعطاءاتـه للعـالم وتسـامحه مـع كافة أتباع الديانات الأخرى.

- مشكلة الخطاب الإقصائي:

لا يزال الخطاب العربي الإسلامي انعزالياً، حيث يعتبر الدين الإسلامي هو دين الله الموحد، ورغم

صحة هذا الرأي عقائدياً إلا أنه يمثل مدخلاً سلبياً لمحاورة الغرب المختلف عقائدياً.

وهنا ينبغي على العرب والمسلمين تغيير الكثير من هذه الأفكار السلبية وتقديم رؤية منفتحة للغرب والعالم تقوم على أن كافة الأديان السماوية هي أديان الله وأنها جميعها تدعو للخير والمحبة والسلام والتسامح والإخاء الإنساني.

- مشكلة قلة الخبراء من ذوي الكفاءة العالية في قضايا الحوار:

يتطلب الحوار خبراء ذوي كفاءة عالية في ديناميات وآليات وأساليب الحوار مع الآخر، فضلاً عن ضرورة امتلاكهم ثقافة واسعة بالحياة الدينية والتاريخ الغربي والدين المسيحي والتاريخ العربي الإسلامي والدين الإسلامي الحنيف.

ومما يحتاجه المحاور العربي أن يخضع لتدريب منهجي في هذا المجال يتضمن بالإضافة لما سبق دراسة شخصية الإنسان الغربي واتجاهاته وعاداته واهتماماته.

وليعمل المحاور العربي على الوصول إلى الرأي العام الغربي ورجل الشارع بالدرجة الأولى.

- مشكلة عدم وجود قناة تفاعلية حوارية:

يتطلب الحوار مع الغرب ليكون فاعلاً ومثمراً وجود قناة وأوعية تفاعل مستمرة لتقديم معلومات صحيحة للجمهور الغربي حول قيم الحضارة الإسلامية والدين الإسلامي ومعلومات مخصصة عن حياة العرب.

ونظراً لأهمية هذا الموضوع الهام، فلقد خصصت لهم بحثاً كاملاً هو ((شبكة تلفزة الحوار)) وهو أول مشروع عربي يطرح في هذا المجال نأمل

الاستفادة منه سواء على نطاق جامعة الدول العربية أو المؤتمر.

- مشكلة ترويج مقولة ((الخطر الإسلامي الأخضر)):

تروج دوائر معادية في الولايات المتحدة الأمريكية وبعض الدول الغربية وفي وسائل الإعلام الغربية مقولة سلبية هي مقولة ((الخطر الإسلامي على الغرب وعلى العالم)).

وهذا يتطلب استنفار عربي كامل على مستوى الحكومات البعثات الدبلوماسية ووسائل الإعلام ورجال الفكر والأدب لاحتواء الآثار المدمرة البعيدة المدى لهذا المفهوم والعمل على تغييره.

- مشكلة اللا تسامح الغربي تجاه العالم العربي الإسلامي :

رغم تغني الغرب وتشدقه بالتسامح واتهامه العرب والمسلمين بعدم التسامح إلا أنه أخفق عبر تاريخه في تقديم أمثلة قوية عن التسامح مع الآخرين وحتى ضمن المحيط الغربي ذاته ((ولعلَّ الحرب العالمية الأولى والثانية وتداعياتها المؤسفة وما سبقها من حروب غربية – غربية خير مثال على ذلك)).

ومن مظاهر اللا تسامح الغربي تقديمه ((العلمانية)) وكأنها الحقيقة المطلقة الوحيدة في العالم التي لا يأتيها الباطل وأنها سر النجاح والتقدم والسلام دون أي مراعاة واحترام لوجهة نظر الأخر وظروفه وما يناسبه من مناهج ونماذج فكرية وسياسية واقتصادية قد تكون أكثر ملاءمة لظروفه وواقعه.

وهنا ينبغي على المحاور العربي أن يناقش نظيره الغربي أنه إذا كانت العلمانية هي النموذج الذي يناسب العالم فهذا لا يعني بالضرورة مناسبتها للعالم الإسلامي.

وفضلاً عن أنه محاولة العلمانية نموذجاً على العالم كله.

هو أعلى مراحل دكتاتورية التطرف العلماني ونموذجاً صارحاً لعدم التسامح واحترام الرأي الآخر.

- مشكلة الخطاب التآمريّ الانتصاريّ:

وتتجلى هذه المشكلة بكون الخطاب العربي الإسلامي يتسم بالطابع الاقتصادي، حيث الغلبة في الرأي والحجج هي حليفنا في النهاية دون الأخذ بالأسباب والعوامل الفعالة المؤدية

لهذه الغلبة، فضلاً عن سيطرة الفكر التأمري الخارجي، فالعالم كله يتآمر علينا.

وهكذا تؤدي هذه العلل في خطابنا إلى سيطرة النزعة الهروبية التي تجعل الإنسان لا يعترف بالخطأ ويقومه، ويفهم كلّ تفاصيل المشكلات وتعقيداتها برؤية موضوعية شاملة لا تلقي اللوم على الآخر وتتقوقع على ذاتها.

- مشكلة إهدار الفرص في العالم العربي والإسلامي:

إن العالم العربي والإسلامي هو عالم الفرص الضائعة التي تهدر تباعاً دون اغتنامها فلطالما أضعفنا حجج أصدقائنا في الغرب، وهذا يتطلب وجود مؤسسة عربية عالمية للحوار تابعة للجامعة العربية وللمؤتمر الإسلامي تأخذ على عاتقها اغتنام أي فرصة سياسية أو اقتصادية أو

ثقافية أو إعلامية ودعمها لتقوية خطابنا الحواري مع الغرب وتفعيله باستمرار.

- مشكلة الخطاب الديني العقائدي:

تعددت آراء خبراء حوار الثقافات حول مشكلة الخطاب الديني العقائدي، فمنهم من رأى ضرورة تطرق الحوار إلى القضايا الدينية والتركيز على المشتركات الدينية بين الإسلام والمسيحية والابتعاد عن الأمور العقائدية المختلف عليها كعقيدة الثالوث، ومنهم من رأى ألّا يكون الحوار على المستوى الديني، بل أن يقتصر على حوار الثقافات وقضاياه وآلياته.

- مشكلة الخطاب المتبني للعنف:

ينبغي أن يتسم الخطاب العربي الإسلامي بنبذ العنف فكراً وممارسة لأننا إذا ما أردنا لحوارنا الفكري والثقافي مع الغرب أن يستمر ويتواصل

محققاً درجة جيدة من النجاح لابد أن يكون منفتحاً، نابذاً لكافة أشكال العنف، ومتسامحاً مع التعددية الدينية والفكرية الغربية.

- مشكلة التفريق بين الإرهاب والمقاومة:

ينبغي للطرف العربي المسلم أم يوضح لنظيره الغربي بوضوح لا لبس فيه الفرق الجوهري بين ((الإرهاب)) و ((المقاومة)) وما هو ((الإرهاب)) وما هي ((المقاومة))، ومتى تبدأ كلمة ((الإرهاب))، ومتى تبدأ كلمة ((المقاومة)) والعكس؟

وهنا ينبغي تفنيد حجة النظر الغربية التي ترى أن المقاومة الفلسطينية واللبنانية للاحتلال الإسرائيلي هي إرهاب وإقناعه بأنها مقاومة مشروعة.

وهنا ينبغي أن يستند الطرف العربي المسلم إلى جهود فقهاء القانون الدولي والترجمة وخبراء المصطلحات في المعاجم اللغوية العربية والغربية.

- مشكلة تصحيح الصورة النمطية السلبية الخاطئة عن العرب والإسلام في الغرب:

يقع على عاتق الطرف الغربي من كتاب وإعلاميين ودبلوماسيين ومؤسسات ثقافية وخبراء حوار مهمة مزدوجة تتجلى بأهمية التصدي للمعلومات والصورة الخاطئة عن العرب والإسلام وتصحيح ما تراكم في الذهن الغربي بمن هذه الصورة والمعلومات النمطية الخاطئة والسلبية فالعرب وكذلك الإسلام لا يعرفون العداء للأديان، إنما للمعتدين، ولكل فكر استعماري عدائي.

وكـذلك مهمـة مواجهـة الأصـولية الإسـلامية المتطرفـة وتربيـة الأجيـال العربيـة علـى التعـاليم الإسـلامية السـامية الداعيـة للمحبـة والتسـامح والتعدد الديني والفكري واحترام الآخر.

- مشكلة فكر المسيحيين المتصهينين:

إن فكـر المسـيحية المتصـهينة في انتشـار مسـتمر في العـالم الغـربي، ممـا يشـكل خطـورة كبـيرة علـى العـالم العـربي والإسـلامي، وهـذا يتطلـب مـن المفكـر العـربي المتخصـص في ميـدان الحـوار والدبلوماسـية العربيـة والإعـلام العـربي بالتعامـل الجـدي مـع هـذا الفكـر العـدائي الـذي يـروج أفكـاره الهدامـة عـن المعركـة الكـبرى الهرماجـدون وهـدم المسـجد الأقصـى وبنـاء الهيكـل وعـودة المسـيح عليـه السـلام مـن خـلال 300 قنـاة تلفزيونية ؟!

- مشكلة عدم التفريق بين أوروبا وأمريكا:

ينبغي التفريق بين كل من وجهات النظر الأمريكية والأوروبية فيما يتعلق بالعرب والمسلمين، فالبدن واضح بين الاثنين ... فشتانَ مثلاً ما بين الولايات المتحدة الداعم لإسرائيل بلا حدود والمشجع لها في اعتداءاتها المتكررة على قطاع غزة وبناء المستوطنات والاعتداء على الأقصى وبين موقف السويد المعترف بقيام دولة فلسطينية.

وهنا ينبغي الحذر من سعي الولايات المتحدة لجر أوروبا لتبني موقفها فيما يتعلق بالعرب والمسلمين والنظرة إلى الحضارة العربية والدين الإسلامي الحنيف.

ومن الأمور الأخرى الواجب مراعاتها في هذا المجال:

- ضرورة ترتيب وضع الجالية العربية والإسلامية في الغرب.
- أهمية توحيد المنطلقات الفكرية الإسلامية للتعامل مع الغرب.
- ضرورة توسيع نطاق الحوار الإسلامي المسيحي إلى حوار ثلاثي: إسلامي مسيحي يهودي.
- ضرورة الحذر من الفكرة الغربية القائلة يا صلاح الإسلام ومن مهمتها رؤاها.
- مشكلة الغرب كمرجعية للخطاب الاستقلابي:

إحدى أهم مشكلات الحوار العربي مع الغرب تتجلى في قيام الفكر الأوروبي – وامتداده الأمريكي – على مفهوم اختزال الحضارة البشرية كلها في إطار التاريخ الأوروبي، فالحضارة

ولـدت علـى يـد الإغريـق، وانتشـرت بفضـل الرومـان، وانتكسـت في العصـور الوسـطى، ثم بدأت منذ عصر النهضة في الرواج والتطور وفق آلية متسارعة وناجزة يدركها الجميع.

((فـالفرد الأوروبي يحمـل جـراثيم هـذا الكـبرياء دائماً ، لأنه يتلقاها من المناخ الاستعماري الذي يتكـون فيـه منـذ الطفولـة ، ويتكـون مـن تصـوره للعالم وللإنسانية ، فهو يعتقد على الخصوص أن التـاريخ والحضـارة يبتـدأن مـن أثينـا ويمـران علـى رومـا ، ثم يختفيـان فجـأة مـن الوجـود لمـدة ألـف سـنة ، ثم يظهـران مـن جديـد ببـاريس في حركـة النهضـة ، أما قبل أثينا فلا شيء يذكر في ذهـن هـذا الفـرد المشـحون بالكـبرياء ، الـذي لا يـرى بين أرسطو وديكـارت إلا الفـراغ ، وهـذه النظـرة الخاصـة للغربيين هي الـتي تشـوه فلسفة الإنسان

عندهم ، وتشوه بذلك السياسة الغربية في العالم))1

هكذا تسيطر فلسفة الإقصاء والتجاهل في الذهن الغربي لدور الإنسان غير الغربي في صياغة الازدهار الحضاري للإنسانية، وهذه مشكلة تكرس الانغلاق مقابل الانفتاح والتصلب مقابل المرونة التي ننشدها في حوارنا الثقافي والفكري مع الغرب على كافة المستويات الفكرية والثقافية والدبلوماسية والشعبية والإعلامية.

إن الغرب –كما يقول الباحث محمد راتب الحلاق – ((يحاول دائماً أن يقدم نفسه قوة، حضارة، حداثة، إنه هو الذي يحكم، هو شاهد العصر، يقدم نفسه، ويقدم رؤيته للآخرين. فهو العين التي تنظر وتحاكم.

لقد نجح الغرب في أن يجعل من نفسه المسطرة والإطار المرجعي الذي يقاس به التقدم والتخلف، الصحيح والفاسد. 2

((لقد جعل الاستعمار أوروبا قلب العالم ورأسه جغرافياً وسياسياً، وجعل الرجل الأبيض يحاصر بقية الأجناس من خلف ومن قدام، وتصرفت أوروبا من عصر الاستعمار كما لو كان الجنس الأبيض وحده – دون الجنس البشري كله – خليفة الله في الأرض، وعانى العالم منها الويلات)) 3

وكرس الغرب الثقافة الغربية على المناطق المستعمرة، ومن خلال مناهجها وأفكارها ينظر للإسلام كعقيدة وثقافة وحضارة، متجاهلاً الحقائق الصحيحة عن الإسلام وتعاليمه السامية

وتاريخه وحضارته، وهذا من أهم مشكلات وعقبات الحوار كما أشرنا آنفاً.

- مشكلة الغرب ... وإشعال الحروب:

رغم أن فكرة ((كلاوسفيتز)) القديمة ، من أن ((الحرب هي استمرار للسياسة بوسائل جديدة))1 قد طواها الزمن وألغتها النتائج الكارثية للحروب وتلاقي الدول على المصالح المشتركة إلا أنها مازالت حية في أذهان أساطين السياسة ودعاة التخطيط الاستراتيجي وقادة أجهزة المخابرات في العالم الغربي الذين يشعلون الحروب هنا وهناك تبعاً لمصالحهم السياسية والاقتصادية والاستراتيجية ، فهم بيدهم مفاتيح ألعاب الحروب : البداية والمسار والنهاية ، فهم ينصرون من يرون أن من مصلحتهم نصره ، ويخذلون من يرون في خذلانه فائدة لهم ، وإذا

أرادوا أن يمدوا في حرب قرابة عقد من الزمن لتصبح أطول من الحرب العالمية الثانية كالحرب العراقية الإيرانية فلا حرج ما دامت تحقق مصالحهم على حساب دماء الملايين والنموذج السوري أيضاً خير شاهد على ذلك .

ورغم قدرة الغرب الفائقة على إنهاء الحروب أو عدم التسبب بإشعالها على الأقل إلا أنه لا يأبه بدماء الضحايا ما داموا ليسوا غربيين وسقوطهم يحقق لهم المزيد من المكاسب والحيوية والمصالح الاستراتيجية وهذا يعود إلى أن إحدى أهم مشاكل الغرب – على حد وصف المؤرخ البريطاني الشهير ((أرنولد توينبي)) أنه يعيش حالة فراق بين العلم والقوة، وهذه المشكلة عقبة كأداء في طريق الحوار مع الغرب.

- مشكلة المصطلحات وصياغتها ودلالاتها وتأثيراتها في مسار الحوار:

تعترض أطراف الحوار مشكلة تتجلى في المصطلحات وصياغتها ودلالاتها ومراميها، وتأثيراتها، فثمة من يحاور فروداً بثقافة ((حوار الثقافات)) وثان يحاور بمنطق ((حوار الأديان)) وثالث يفهم الحوار على أنه ((حوار حضارات)) ورابع يفهمه على أنه ((حوار إسلامي مسيحي)).

وقد اشتد الجدل في الآونة الأخيرة حول ما يثيره كل مصطلح من هذه المصطلحات ((فبعضهم يرى مصطلح حوار الحضارات أنه مصطلح غامض ومتسع وملتبس، وبعضهم تنتابه حالة من الاستنفار والخطر من مصطلح – حوار الأديان –)) 4

((أما مصطلح – الحوار الإسلامي والمسيحي – فهو مصطلح يتم تداوله منذ عدة عقود، خاصة تحت رعاية الفاتيكان، ويرى أيضاً استخدام حوار الثقافات بأنه الأكثر دقة وتحديداً ويتسع لكافة أشكال الحوار)).

ويتبنى كاتب البحث هذا المصطلح لأنه بالإضافة لما سبق يتسق مع الأطر الفكرية والثقافية والإعلامية للحوار مع الغرب.

أما فيما يتعلق بمشكلة المصطلحات الآنفة الذكر فالرأي الأصوب هو قبول كافة هذه المصطلحات بعد تحديدها وتوضيح مراميها توضيحاً دقيقاً.

ولا ينبغي اتخاذ موقف صارم ضد مجرد مصطلح، في لحظة يعيش فيها العالم حالة لغوية ثقافية تعرف بالتضخم في المصطلحات.

((فطبقاً للغويات ونظرية المعلومات، فإنه كلما زاد مدى الاتساع في المعنى لمصطلح ما فإن قدرتنا على تصبح قاصرة وناقصة، وهذا الأمر ينطبق على المصطلحات الآنفة الذكر

وهذا ينعكس سلباً على أطراف الحوار، فيعرف الطرف (أ) الحوار بمعنى، ويفهم الطرف (ب) الحوار بمعنى آخر قد يكون مخالفاً.

****